سلسلة مطويات شبكة بينونة

الأعمال الصالحة

نجاة في الدنيا والآخرة

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن سند آل المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد..

فإنّ الإنسان في هذه الدنيا يحتاج إلى ما يطهر قلبه، وينقي سريرته، وينشرح به صدره، ومهما حاول الإنسان أن يسعد قلبه بالملاهي والألعاب والهواتف وغيرذلك فلن ينال بذلك سعادة القلب، ولن تزكوَ نفسه، ولن يرتاح قلبه حتى يحقق أمرين: الأمر الأول: أن يحقق الإيمان بالله ويتبع ذلك بقية أركان الإيمان، والأمر الثاني: أن يعمل الصالحات، وهي نسمتنا الإيمانية.

عمل الأعمال الصالحة يورث الإنسان سعادة، يورث الإنسان راحة، يورث الإنسان ثباتًا، ويبعد الإنسان عن كل نوعٍ من أنواع الخسارة قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر]، وكذلك يورث العبد محبة الله، وأيّ نعمة أعظم من أن يمشي الإنسان على وجه الأرض والله ﷻ يحبه، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦]، وقال النبي ﷺ في الحديث القدسي أن الله ﷻ قال: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»[1]، ما أعظمها من كلمة لا بد أن تُكرر حتى تقرّ في القلب فيحلو طعمها ومذاقها: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»؛ لأن الله ﷻ إذا أحبك، أحبك أهل السماء، ووضع لك القبول في الأرض، ثم إن الأعمال الصالحة بفرائضها ومستحباتها لها أثر على

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

الإنسان في حياته وفي مجتمعه، ولو تأمل الإنسان الصلاة، فيها أمر لا يتحقق للإنسان إلا بها ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[المعارج: ١٩ - ٢٣] لاحظ هنا أثر الصلاة على الإنسان تجعله متزنًا في حياته التي ستمرُّ به من خيرات ومسرات، ومن أضرار وابتلاءات، الصلاة تجعلك ساكنًا راكدًا مطمئنًّا معتدلاً، وهكذا جميع الأعمال: الصدق الزكاة الحج، الصوم توصل إلى التقوى، الزكاة فيها تزكية للنفس، الحج فيه تهذيب وقربة إلى الله، وكذلك الأخلاق الجميلة.

لكن هنا أود أن أنبه إلى أمر نسمعه في الآيات دائمًا: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ العمل الصالح والعمل الحسن هو العمل الذي يقوم على ركيزتين أساسيتين: الركيزة الأولى: الإخلاص لله، والركيزة الثانية: متابعة رسول الله ﷺ.

تدرون -حفظكم الله- أنّ الشيطان نسج شباكه وشراكه، ووضع خططه، وجنّد جنوده لإبعاد الناس عن هاتين الركيزتين؛ لأن العمل متى كان خالصًا لله متبعًا فيه رسول الله كان مقبولًا، وترتبت عليه الآثار المرجوة التي ذكرت في القرآن والسنة، على عكس الأعمال التي هي مخالفة للسنة من البدع والمحدثات، أو الأعمال التي لا يكون الإنسان فيها خالصًا في عمله لله فإنه كما قال ابن القيم: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا يثقله ولا ينفعه» [٢]، فهذا الإخلاص عزيز، والنية مهمة ما جاهد أئمة الدين أنفسهم كمجاهدتهم على نياتهم.

(٢) الفوائد (ص٤٩)

فإن علم العبد أثر الأعمال الصالحة وأهميتها بذل وسعه في تحقيقها وتحسينها، وأؤكد على أن يكون الإنسان عاملاً للطاعة مخلصًا فيها لله في الخلوات ضع كلمة في الخلوات نصب عينيك، أي أنه لا يعلم بها أحد إلا الله؛ لأنّ من أعظم أسباب الثبات ومن المنجيات أن يكون العمل خالصًا في الخلوات.

وهنا أذكركم بقصة أخبر بها النبي ﷺ كما في صحيح البخاري ومسلم [٣] عن الثلاثة الرهط الذين كانوا من قبلنا ساروا ليلاً حتى آواهم المبيت في غار وقد هطل عليهم المطر فدخلوا في الغار فانحدرت صخرة ضخمة من الجبل فسدت عليهم الغار، في هذا الوقت وفي هذه الأزمة، وفي هذا الابتلاء أين النجاة؟ انظر إلى كلمة ذلك الرجل الصديق الناصح، قال أحدهم: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، ذكرهم بهذا يعني بهذه الكلمة التي هي كلمة عظيمة، وهذا أثر الصحبة الصالحة، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا، ولا مالا- لا يقدم على أبويه غبوق اللبن أحدًا، لا من أولاده ولا من أقاربه، فوالداه مقدمان عنده على كل أحد- فنأى بي في طلب شيء يوما-ذهب وتأخر عليهما-، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي، أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك،- لاحظ الدعاء، الدعاء سلاح ودعا الله ﷻ بذلك العمل الصالح، وأكد على مسألة الإخلاص ابتغاء وجهك- ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، قال ﷺ: فانفرجت-

(٣) البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

يعني الصخرة- شيئا لكن لا يستطيعون الخروج .

هنا أنبه على أهمية بر الوالدين، وأنه من الأعمال الصالحة العظيمة، وقد أخطأ بعض أبنائنا في رفع أصواتهم على آبائهم وعدم احترامهم وعقوقهم مما أدى إلى ضياع هؤلاء الأبناء؛ لأن العقوق بغيٌ وظلم للوالدين يعاقب الله ﷻ عليه الإنسان، وقد يكون الإنسان حرم التوفيق والبركة بسبب عقوقه فانظر إلى هذا الرجل الذي كان بارًا لدرجة أنه لا يقدم على أبويه أهلًا ولا مالًا حتى جاء في بعض الروايات أنه بات وأبناؤه يبكون من الجوع لكنه ما قدم أحدًا على والديه، فاستجاب الله له دعاءه بتوسله بذلك العمل الصالح، وإن كان ذلك العمل في نظر بعض الناس قليلًا ولكنه عند الله عظيم، ففرج الله ﷻ عنهم شيئا، ثم قال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألمّت بها سنة -يعني فقر وحاجة- من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه -وعظته-، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منه.

هنا -حفظكم الله- تنبيهات:

- **الأول العفة:** يجب على الإنسان أن يكون عفيفًا عن الحرام، وعن النظر إلى الحرام، والتعلق به، وهذا أحبتي داءٌ ابتلي به بعض الشباب وبعض النساء، فانظروا فستجدون من يخرج ليطلق نظره على النساء، وتنظر هي إلى الرجال فيقع حبه وحبها في قلبه، فيعاكسها وتعاكسه،

وتغازله ويغازلها، وتتواصل معه ويتواصل معها لا سيما في هذا العصر الذي أصبح التواصل فيه من أيسر وأسهل ما يكون، ثم يقع الإنسان فيما يقع فيه من المحرمات، فيجب على الإنسان أن يكون عفيف العين، عفيف اللسان، بعيدًا عن مواطن الفتن والشبه، وأنه إذا وقع في شيء من ذلك أن يتركه لله كما فعل هذا الشاب، ترك ابنة عمه وهي أحب الناس إليه، وترك المال عندها، فكان ذلك ابتغاء وجه الله، ففرج الله ﷻ عنه من تلك الصخرة، فقد يفرج الله ﷻ عنك بسبب تركك بعض الخطايا والمعاصي والذنوب إن تركتها لله ﷻ.

● **التنبيه الثاني:** تحذيرٌ مهم لبعض من يستغل حالات الضعف الإنسانية، قد يقع الإنسان في مُلمَّات وضعف وفقر، فلا تستغل ضعف إنسانٍ لمال لتنقضي شهوتك، بل كن عفيفًا كريمًا تحب للناس ما تحبه لنفسك من الخير، وتكره لهم ما تكره لنفسك من الشر.

● **ثم قال الثالث:** اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون.

قف عند هذا الشخص الثالث الذي استأجر أجراء وأعطاهم حقهم إلا شخصًا واحدًا كما يحدث عندنا في بعض الأحيان، يعمل عندنا بعض العمال ويترك بعض

العمال مبلغًا المال لا يأخذه، ويذهب عنك شهرًا وشهرين أو سنة وسنتين، ثم يأتيك يطالبك بذلك المال، بعض الناس ماذا يفعل يستغل مثل هذا المبلغ وذاك أحوج منه لهذا المال، هذا الرجل ما استغل هذا المبلغ أو هذا المال، بل نمّاه، نمّى المبلغ هذا حتى أصبح من رأس المال هذا بقر وإبل وغنم ورقيق وخير عميم، فأتى الرجل الأجير بعد سنوات يطلب ماله وكان باستطاعة الرجل أن يعطيه المبلغ الذي استأجره عليه لنقل مثلا: ألف درهم أو ألف دينار، وهذا الرجل لا يعلم أن هذا المال أورث تلك الأموال لكنه كان صادقًا مع الله، وكان مؤديًا لحقوق الخلق فقال له بكل صدق وعدم أنانية وعدم تعلق بهذه الدنيا: كل ما تراه لك، فأخذه ذلك كله، ما ترك له شيئًا، وكان عمله هذا ابتغاء وجه الله ﷻ فدعا الله ﷻ بهذا العمل ففرج الله ﷻ عنهم الصخرة فخرجوا يمشون.

إذًا -حفظكم الله- الأعمال الصالحة سببٌ للنجاة من كرب الدنيا، وهي سببٌ للنجاة من كرب الآخرة، وهي أعظم عندما يُوسَّد الإنسان في قبره لن يسأل إلا عن إيمانه وأعماله: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ ما العمل الذي كنت تعمله؟ إذا وقفت في عرصات يوم القيامة عند الصراط والميزان، ودنوّ الشمس، وتطاير الصحف ستكون أعمالك هي التي تنجيك بإذن الله ﷻ، فادخر لنفسك عملاً صالحًا ليوم شديد، ولكربة قد يصاب بها الإنسان كما يدخر الإنسان مبلغًا من المال ليوم عصيب، كما يفعل كثير من الناس، هذه الأعمال الصالحة أعظم ذخرًا، وهي أنفع للإنسان من جميع هذه الأموال، فاحرص على كل عمل تعمله لله، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، فقد يكون العمل القليل كشقّ تمرة تتصدق بها أو درهم تعطيه لفقير وأنت

مخلص فيه لله يكون هذا الدرهم سببًا لنجاتك، سببًا لسعادتك، سببًا لبركة حياتك.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا الإخلاص في العمل، وموافقة سنة رسول الله ﷺ، كما أسأله ﷻ أن يبارك في أموالنا وأهلينا وذرياتنا، وأن يحفظنا ويحفظ مجتمعاتنا ويوفق ولاة أمرنا لكل خير.

وصلى الله على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.